باقة مقبولة

كتبت فى البلاغ بالأمس كلمة وضعت فيها الحد واضحًا بين التطهير والتشهير. وقلت إنَّ أحدًا لا يعارض فى تطهير كل أدوات الحكم من الفساد ولا فى مؤاخذة أى كان عن أى عمل تؤاخذ عليه القوانين. ورجوت ألا تكون هذه الحرب مشبوبة على هيئة دون أخرى ولا على حزب دون آخر. وألا يقتصر الأمر على عهد دون عهد. وعقبت بأنَّ حملة التشهير ظلم صارخ وأنها يجب أن تقف وقلت لدولة رئيس الوزراء وهو من البارزين بين رجال القانون أنَّ كل متهم يعتبر بريئًا ويظل بريئًا إلى أن يقضى فى أمره بحكم نهائى. وأهبت بالجميع أن يصونوا سمعة البلاد.

قلت ذلك كله وبنيته على فرض افترضته وهو أن يكون بيننا نحن الوفديين من ارتكب ما تصح المؤاخذة عليه. افترضت ذلك وأنا المؤمن بأنَّ مجموعتنا سليمة ونزيهة وأنَّ مصر ولله الحمد بخير كل الخير.

واليوم ظهرت جريدة السعديين وفى صدرها مقال لحضرة الدكتور على الرجال قدم لى فى باقة من الزهر أتقبلها شاكرًا فوصفنى فى تهكم بالأستاذ القدير.. والفقيه الخطير.. والقانونى الكبير الأستاذ أمين عز العرب.

ثم عزَّ عليه ألا يزيد فى فضله فقال الأستاذ «عز الهرب»، ثم نعى على ضعف السمع -وقاه الله من كل مرض - إذ قال: خرس الفصحاء وتحدثت الببغاء. خرس السميع البصير. وتكلم غير السميع وغير البصير.

وليس يسعنى إلا أن أتقل كل النعوت والأوصاف بالشكر الجزيل والارتياح التام لأنَّ هذا يشعرنى فى غير ما تردد أنَّ السهم الذى ريمت به أصاب الكبدوان الطعنة كانت نجلاء.

إنَّ هؤلاء الخصوم الحاقدين على الوفد والذين يحاربونه لحساب المستعمر لا حساب شيء آخر يظنون أنَّ البلاد غافلة عن مكرهم مخدوعة فى شأنهم.

هل تراهم وهم الذين وقعوا فى عهود حكمهم فى الآثام يصلحون أن يكونوا وعاظًا يدعون إلى التطهير.

ما أشبههم بالمخمور يقف فى وسط الناس يدعوهم إلى الكف عن شرب الخمور.

ما هو العيب فى أن أقول لدولة رئيس الوزراء طهر ما شئت ولكن اعمل على صيانة الكرامات وصيانة سمعة وطنك.

ما العيب فى أن أقول له إنَّ العدل يقضى بألا تقف عند هيئة معينة ولا عهد معين.

أيظن خصوم الوفد أنَّ الوفديين يخشون بحثًا واستقصاء لتصرفاتهم؟ إنهم واهمون. الأمر هو العكس تمامًا فإنَّ خصوم الوفد يهوشون ويملأون الدنيا ضجيجًا لتبقى آثامهم مستورة وعيوبهم فى خفاء. ولست أريد أن أنحو نحوهم وأسير على سيرتهم فأذكر أسماء من زعمائهم ووزرائهم وشيوخهم ونوابهم ولا أن أشير إلى تصرفات معينة لهم ولحلفائهم فإنى كما قلت أرى أنَّ المتهم يظل بريئًا إلى أن يقضى فى شأنه.

لهذا أهبت طالبا الكف عن التشهير فضاقت جريدة السعديين، لأنَّ التشهير عندها هو الغاية والهدف وليس يهمها أن تظهر فى النهاية براءة الناس بيضاء ناصعة.

وعلى كل حال فإننى أتقبل تلك الباقة التى قدمها إلى حضرة الدكتور على الرجال وأتقبلها شاكرًا متمثلًا بقول الشاعر:

هنيئًا مريئًا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت